وفي سنة ٦٤ ق.م.، تمكن الرومان من نسف دولة السلوقيين، فغدت فلسطين خاضعة لسيادة روما ولاحتلالها العسكري. وقد حاول المكابيون الثورة ضد الرومان مراتٍ عدّة، أهمها تلك التي قاموا بها خلال النصف الثاني من القرن الاول بعد الميلاد، حيث تعرضوا للرومان وغيرهم من سكان البلاد، مما دفع القيصر لوسباسيانوس، العام ٦٩ م.، الى وضع ابنه تيتلس على رأس جيش هزم المكابيين وحاصر القدس ودمرها وأحرقها وأباد من كان فيها من معتنقي الديانة اليهودية، في حين فرّ من نجا منهم الى خارج فلسطين، فانقطعت، بعد ذلك، كل صلة لمعتنقي الديانة اليهودية بها، لاسيما مدينة القدس التي اقام فيها الامبراطور هدريان سنة ١٣٥ م. مستعمرة رومانية وحرَّم على معتنقي الديانة اليهودية الاقامة فيها[٥].

وخلال تعاقب القرون، لم تشهد فلسطين هجرة يهودية واسعة، الا في القرن الخامس عشر، حين هاجر عدد كبير من اليهود من اسبانيا فراراً من الاضطهاد الذي مارسه عليهم الملوك المتشددون في كاثوليكيتهم. ومع ذلك، فقد شكلوا اقلية محدودة في البلاد. ففي العام ١٨٤٥ لم يكن في فلسطين من اليهود إلا ١٢ الفاً من مجموع عدد السكان البالغ ٢٥٠ الف نسمة، وفي العام ١٨٨٠ كان عددهم ٢٥ الفاً من مجموع ٥٥٠ الفاً[٦].

وقد شهد القرن التاسع عشر، بفعل عوامل متعددة، اهمها نشوء التيارات القومية في أوروبا وعمليات الاضطهاد المتلاحقة لليهود، محاولات عدة للهجرة الى فلسطين، واتخذت هذه المحاولات اشكالاً متعددة، الا انها بقيت فردية، ولم تحدث طابعاً مؤثراً في التركيب الاجتماعي لفلسطين. وقد اشتدت دعوات الهجرة الى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بفعل ازدياد الاضطهاد الذي مارسته بعض الدول على اليهود، وخصوصاً روسيا وبولونيا. ومع ان هذه الدعوات ارتدت طابعاً دينياً بحيث كانت تدعو الى «عودة روحية» الى الأراضي المقدسة، إلا انها لم تأخذ شكل الهجرة المنظمة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، حدث منعطف تاريخي للمسألة اليهودية، حين تمكن تيودور هرتسل، بعد محاولات متواصلة، من عقد مؤتمر صهيوني في بازل، في سويسرا. وفي هذا الاطار، وتحقيقاً لهذا الهدف، خطط الصهيونيون ووضعوا البرامج الفعالة لتحقيق غايتهم تلك، واخذت الصهيونية العالمية على عاتقها تحقيقها، وسعت الى ذلك بكافة الطرق والوسائل معتمدة على افكار منظريها من الصهيونيين الاوائل.

الهجرة في الفكر الصهيوني

ان فكرة «العودة» قديمة قدم الديانة اليهودية ذاتها، وهي مرتبطة بها ومنسجمة مع تعاليمها. وهكذا، فقد سعى اليهود، منذ خروجهم من فلسطين، الى العودة الى «أرض صهيون» باساليب متعددة. وقد شهدت الفترات التاريخية السابقة محاولات عدة في هذا الاتجاه، لكن لم يكتب لها النجاح. ويمكن القول انه مع مطلع القرن التاسع عشر بدأت هذه الفكرة بالتبلور بشكل واضح وملموس. وقد كانت بداياتها الاولى تتمثل في عودة روحية الى فلسطين بحيث تشكل خطوة حقيقية على طريق «الخلاص المنتظر» وتمهد السبيل لمجيء المسيح ـ المخلص. وكانت هذه الصهيونية الدينية هي الارضية الفعلية للصهيونية السياسية التي أعلن عن ميلادها تيودور هرتسل، في بازل، في سويسرا العام ١٨٩٧.

ويعتبر الحاخام يهودا الكلعي (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) أول من دعا الى العودة الى فلسطين في